سورة كاملة في فضائلها

* خص الله تعالى ليلة القدر بالتسمية، وأفردها بسورة كاملة، وذكر فيها خمس فضائل لها؛ألا يستحق ذلك منا أن نفردها أيضًا بعبادتنا، فنتفرغ من أشغالنا وأسواقنا ولهو العيد؟

هي ليلة، فاحذر أن تتحسر؛ فقريبًا ﴿مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾!

* سورة القدر على قصرها؛ إلا أنها تضمنت تعظيم هذه الليلة من عدة أوجه، منها:

١- نزول القرآن فيها.

٢- أنه تكرر فيها اسم الليلة ثلاث مرات، وفخم شأنها بالسؤال عنها ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾.

٣- مجيء ﴿أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ﴾ بصيغة التنكير التي تدل على التعظيم.

٤- التنصيص على نزول الروح (وهو جبريل) مع أنه من جملة الملائكة.

إنا أنزلناه في ليلة القدر

* ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ عُظِّم القرآن من ثلاثة أوجه:

١- أن أسند إنزاله إليه وجَعلَه مختصًا به دون غيره.

٢- أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر، شهادة له بالنباهة، والاستغناء عن التنبيه عليه.

٣- الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه.

* ذكرت ليلة القدر في سورة القدر خمس مرات، واشتملت على خمس فضائل: إنزال القرآن، وأنها خير من ألف شهر، وأن الملائكة والروح (جبريل) تتنزل فيها، وفيها يفرق كل أمر، وأنها سلام حتى مطلع الفجر.

فهل نقدرها حق قدرها، ونعظمها كما عظم الله شأنها؟

وما أدراك ما ليلة القدر؟

* ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؟ كم من شرف عظيم تميزت به هذه الليلة؟ شرف المنزَّل فيها، وشرف الزمان، وشرف العبادة، وشرف المتنزَّلين، وشرف العطاء بلا حدود، ومسك ذلك: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾.

فيا لطول حسرة المفرطين! ويا أسفى على من تخلف عن ركب المشمرين!

* ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ إذا كانت ساعات الليل -في هذه الليالي- نحوًا من (١٠ ساعات)، فإن هذا يعني أن الساعة الواحدة تعادل أكثر من (٨ سنوات)، وأن الثانية الواحدة فقط تعادل نحوًا من (٥٠ يومًا).

* قال ابن عيينة في صحيح البخاري: "ما كان في القرآن: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ فقد أعلمه، وما قال: (وما يدريك) فإنه لم يعلم".

ليلة خير من ألف شهر

* ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ دلت هذه الآية على فضل ليلة القدر، وفقه هذه الآية أن يبذل العبد لتحصيل فضل الليلة ما لا يبذله لألف شهر!

ولكن من رحمة الله أن تحصل فضيلة عبادة ثمانين سنة بل أكثر، ببضع عشرة ساعة بل أقل!

* ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ هل تدري كم تساوي ألف شهر في مقياس الساعات؟ إنها تعادل ٧٢٠,٠٠٠ ساعة، أي أكثر من ٤٣,٢٠٠,٠٠٠ دقيقة، أي أن دقيقة من دقائق ليلة القدر في لياليا هذه = ٧٠,٢٤٤ دقيقة في غيرها!

فيا حسرة على المفرطين!

* قال ابن الجوزي: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ والله ما يغلو في طلبها عشر، لا والله ولا شهر، لا والله ولا دهر!

علق العلامة السعدي على كلامه قائلاً: وصدق رحمه الله، فلو أنفق الإنسان عمره في طلبها لما قدرها حق قدرها!

تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر

* ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾ نزول الملائكة في الأرض عنوان على الرحمة والخير والبركة، ولهذا إذا امتنعت الملائكة من دخول شيء؛ كان ذلك دليلاً على أن هذا المكان الذي امتنعت الملائكة من دخوله قد يخلو من الخير والبركة، كالمكان الذي فيه صور محرمة.

سلام هي حتى مطلع الفجر

* استدل بعضهم على أن ليلة القدر هي (**ليلة ٢٧**) بأن كلمة ﴿هِيَ﴾ في سورة القدر تعد الكلمة (**رقم ٢٧**)، وهذا خطأ؛ ولو كان لَمَا خفي على نبي الأمة وأصحابه وسلفه، وليس هو بمعهود العرب، ويخالف أدلة أخرى، وقد انتقده بعض العلماء كابن حزم رحمه الله.

تعظيم السلف لليلة القدر

* كان تميم الداري رضي الله عنه يتأول قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ فقد اشترى حلة بألف درهم، يلبسها في الليلة التي تُرجى فيها ليلة القدر، وبعض الناس يأتي بثياب نومه للمسجد مع قدرته!

أصول المراجع:

١- تفسير جزء عم لابن عثيمين.
٢- تفسير الكشاف.
٣- تفسير البيضاوي.
٤- التحرير والتنوير.
٥- سير أعلام النبلاء.
٦- التبصرة.
٧- شرح السعدي لعمدة الأحكام.
٨- المحلى.

تدبُّر الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم
www.tadabbor.com
tadabbor@tadabbor.com

تدبر

الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم

تدبر
سورة القدر